حملة - المركز العربي
لتطوير الإعلام الاجتماعي
7amleh - The Arab Center for
the Advancement of Social Media

حرب غزة:
كيف شكّلت وسائل التواصل الاجتماعي السردية والتضامن بين الغزيين

حملة – المركز العربي لتطوير الإعلام الاجتماعي
حرب غزة: كيف شكّلت وسائل التواصل الاجتماعي السردية والتضامن بين الغزيين

تموز 2025

الكاتب: علي عبد الوهاب

رُخّص هذا الإصدار بموجب الرّخصة الدّولية: نَسب المُصنّف - غير تجاري - منع الاشتقاق 4.0 دولي للاطلاع على نسخة من الرّخصة، يُرجى زيارة الرابط التّالي: https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0

اتصلوا بنا:
البريد الإلكترونيّ: info@7amleh.org
الموقع الإلكترونيّ: www.7amleh.org
الهاتف: +972 (0) 774020670
صفحاتنا على وسائل التواصل الاجتماعيّ: **7amleh**

الفهرس

مقدمة 4

الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي في قطاع غزة - نظرة عامة إحصائية 4

التداعيات والتحولات في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في حرب الإبادة على غزة 6

المنهجية المستخدمة 6

أولاً: الأوضاع الراهنة في غزة: تأثير الحصار المستمر والحرب على الحياة اليومية، ودور وسائل التواصل في سد الفجوات الناتجة عن العزلة 7

ثانياً: الإرهاق الرقمي الناتج عن سرديات الصمود وأسطرة المعاناة 7

ثالثاً: من نداءات الصمود إلى منشورات النجاة: إعادة تشكيل الخطاب والحاجات 8

رابعاً: سوء فهم الفلسطينيين من غزة أثناء التعبير عن غضبهم ومشاركتهم السياسية 9

خامساً: التضامن الدولي: من اللحظوية إلى الغياب 10

الخاتمة 10

التوصيات السياساتية 11

مقدمة

منذ بداية الإبادة الجماعية على قطاع غزة في أكتوبر 2023، لم تكن وسائل التواصل الاجتماعي مجرد امتداد لحياة الفلسطينيين اليومية، بل أصبحت شرطًا من شروط البقاء؛ فمع الانهيار شبه الكامل للبنية التحتية، وتكرار انقطاع الكهرباء والاتصالات، تحول الفضاء الرقمي إلى أداة نجاة، ومنصة للتوثيق، وحيّز للتعبير في ظل غياب الإعلام الدولي.

تهدف ورقة الموقف إلى تحليل كيف غيّرت الحرب على غزة طبيعة استخدام الفلسطينيين لوسائل التواصل الاجتماعي، ولماذا أصبح هذا الاستخدام محملًا بطبقات جديدة من المعنى والوظيفة. لا تسعى الورقة إلى قراءة تقنية أو نفسية بحتة، بل إلى فهم كيف يُنتج الفلسطينيون في غزة سرديتهم الرقمية تحت القصف، وكيف تتغير لغتهم، أولوياتهم، وتمثيلهم لذواتهم في سياق رقمي هش ومحاصر.

تركز الورقة على تحليل الخطاب الرقمي "الغزي" من خلال خمسة أبعاد تحليلية استُخلصت من مقابلات فردية، وجلسة نقاش بؤرية مع شبان وشابات من القطاع، إضافة إلى تحليل وصفي لما يزيد عن عشرات المنشورات جُمعت من منصات مختلفة خاصة الفيسبوك باستخدام تقنيات Web Scraping. تتمثل هذه الأبعاد في: التحول نحو أدوات النجاة والتوثيق، الإرهاق العاطفي من سرديات الصمود، سوء الفهم والرقابة المجتمعية، تآكل الخطاب الوطني، هشاشة التضامن الدولي، وتحول المحتوى من التعبير إلى البقاء.

ما تحاجج به هذه الورقة هو أن الفضاء الرقمي "السوشلجي" في زمن الإبادة لم يكن انعكاسًا للواقع فقط، بل أصبح جزءًا من شروطه، ومن أدوات صناعته، وفي ظل هذا التحول، باتت وسائل التواصل مساحة لإعادة تعريف السياسة، والهوية، والنجاة، لا كترف تعبيري، بل يمكن القول كفعل يومي لمواجهة الاختفاء.

وفي ختامها، تقترح الورقة مجموعة من التوصيات السياساتية التي تستند إلى هذه المعطيات، بهدف تعزيز العدالة الرقمية، وحماية التعبير الفلسطيني، وتوسيع إمكانيات النجاة الرقمية في أوقات الطوارئ.

الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي في قطاع غزة - نظرة عامة إحصائية

تشير بيانات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني إلى أن 83%[1] من الأفراد في قطاع غزة (فوق سن 10 سنوات) كانوا يستخدمون الإنترنت في عام 2022، وبلغت نسبة الأسر التي تمتلك اتصالًا بالإنترنت نحو 92%[2]، ما يعكس حالة تعايش مع البنية الرقمية رغم هشاشتها، ورغم غياب إحصاءات دقيقة حول مستخدمي وسائل التواصل في غزة تحديدًا، تشير بيانات فلسطين العامة إلى أن نحو 2,2 مليون شخص – أي ما يعادل 40,5% من السكان[3] – يستخدمون منصات التواصل الاجتماعي، وتُعد فيسبوك المنصة المهيمنة بنسبة تتجاوز 96% من الاستخدام الرقمي[4].

1. PCBS & the Ministry of Communications and Information Technology: The World Telecommunication and Information Society Day, February 7, 2023, https://www.pcbs.gov.ps/post.aspx?lang=en&ItemID=4510

2. المصدر نفسه

3. Digital 2024: Palestine, Simon Kemp, DataReportal, 23 Feb 2025, https://datareportal.com/reports/digital-2024-palestine

4. Social Media Stats in Palestinian Territory - April 2025, StatCounter, https://gs.statcounter.com/social-media-stats/all/palestinian-territory

لكن هذه المؤشرات، رغم ارتفاعها العددي، لا تُعبر عن بنية رقمية مستقلة أو عادلة، بل تُخفي واقعًا معقدًا قائمًا على سيطرة الاحتلال الإسرائيلي على الطيف الترددي والبنية التحتية، مع محدودية تقنية تفرض على قطاع غزة العمل ضمن شبكات الجيل الثاني فقط 2G، بما لا يتناسب مع طبيعة الاستخدامات المعاصرة.

مع بدء حرب الإبادة في أكتوبر 2023، تدهورت هذه البنية بشكل جذري: تعرضت 50% من شبكة الاتصالات للتدمير الكامل، و25% منها لأضرار جزئية[5]، وتشير تقديرات "بالتل" إلى أن نسبة تعطل الشبكة بلغت 80%[6]، فيما سجلت حركة الإنترنت تراجعًا تجاوز 85% في الأسبوع الأول من الحرب[7]. وتُقدر الخسائر الإجمالية في قطاع التكنولوجيا والمعلومات بحوالي 736 مليون دولار[8]، ضمن إجمالي خسائر بلغت 18,5 مليار دولار في مختلف القطاعات.

في مواجهة هذا الانهيار، لجأ السكان إلى حلول بديلة محفوفة بالمخاطر، مثل استخدام شرائح خلوية إسرائيلية ومصرية، وتقنية eSIM، وإنشاء شبكات WiMAX محلية[9]، وهي تقنية اتصالات تهدف لتوفير بيانات لاسلكية عبر المسافات الطويلة بعدة طرق تتراوح من وصلات نقطة لنقاط إلى وصول هاتف خلوي متنقل. ورغم محدودية هذه البدائل، إلا أنها شكلت محاولات للصمود الرقمي في ظل العزلة المفروضة. وهكذا، لم تكن البنية الرقمية موجودة لتخدم حاجات مدنية مستقرة، بل أعيد إنتاجها خلال الحرب مساحة يائسة للنجاة، و جبهة مستترة لصراع مستمر على الحق في الظهور، والوصول، والقول، والحقوق الرقمية بشكل أوسع.

5. 7amleh Issues New Report on the Impact of War on Gaza's Telecommunications Infrastructure, 7amleh – The Arab Center for the Advancement of Social Media, 10 Jan 2025, https://7amleh.org/post/impact-of-war-on-gaza-s-telecommunications-infrastructure-en

6. انقطاع الاتصالات والانترنت عن قطاع غزة يدخل يومه الثامن، وكالة وفا، 19 يناير 2024، https://www.wafa.ps/Pages/Details/88411

7. المصدر نفسه

8. The Gaza and West Bank Interim Rapid Damage and Needs Assessment (IRDNA), World Bank, the European Union, the United Nations, Feb 2025, P. 39, https://bit.ly/4d6Dy2g

9. Gaza's telecommunications: Occupied and destroyed, Ali AbdelWahab, Al-Shabaka: The Palestinian Policy Network, 30 Jan 2025, https://al-shabaka.org/briefs/gazas-telecommunications-occupied-and-destroyed/

التداعيات والتحولات في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في حرب الإبادة على غزة

المنهجية المستخدمة

تعتمد هذه الورقة على مقاربة نوعية وصفية لتحليل التحولات الخطابية في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في قطاع غزة خلال الحرب التي بدأت في أكتوبر 2023. تجمع الورقة بين ثلاثة مصادر أساسية للبيانات:

- مقابلات فردية معمقة أُجريت كتابيًا مع مشاركين فلسطينيين ينتمون إلى فئتين: الأولى من داخل قطاع غزة، من المقيمين أثناء الحرب أو النازحين داخل القطاع، والثانية من فلسطينيين يقيمون في الخارج، بما يشمل الشتات، أو في داخل الأراضي المحتلة: الضفة الغربية والداخل الفلسطيني، شملت العينة مزيجًا من الناشطين الرقميين ومستخدمين عاديين لوسائل التواصل الاجتماعي. أُرسلت الأسئلة إلكترونيًا وتلقيت الإجابات كتابيًا.
- جلسة نقاش بؤرية جُمعت عبر تطبيق واتساب لمجموعة من عشرة شبان وشابات من مواليد 2000 وما بعد، جرت إدارتها كتابيًا والتخطيط لها على مدار أسبوعين نظرًا لانعدام إمكانية عقد لقاء مباشر أو عبر الفيديو وتمت عبر مكالمة واتساب جماعية، وتم تحليل تفاعلاتهم على شكل مادة سردية جماعية تعكس الحساسية الوجدانية ولغوية المرحلة.[10]
- تحليل محتوى رقمي باستخدام Web Scraping: تم تطوير كود برمجي بلغة Python باستخدام مكتبات مفتوحة المصدر مثل: (Selenium)+ BeautifulSoup لجمع أكثر من 80 منشورًا رقميًا علنيًا (Public Posts) من منصات فيسبوك، إنستجرام، تيليجرام، وتويتر (إكس)، تتعلق بسياقات الحياة اليومية، النجاة، التعبير السياسي، والتفاعل العاطفي خلال الفترة من أكتوبر 2023 وحتى نهاية 2024.

لم يتم جمع أي بيانات خاصة أو التعرض لهويات الأفراد، كل المحتوى المُحلل كان متاحًا للعموم، وتمت عملية الفرز يدويًا لاحقًا لاختيار المنشورات الأكثر تمثيلًا للتحولات السردية والاجتماعية.

تلتزم هذه الورقة بمبادئ الأخلاقيات البحثية، وتدرك حدود التمثيل وصعوبات الوصول، خاصة في بيئة تخضع لرقابة الاحتلال وانقطاع الاتصال، لا تدعي هذه المنهجية الإحاطة الشاملة بالسياق النفسي أو الاجتماعي، بل تسعى إلى تقديم مقاربة تحليلية حساسة للتغيرات الخطابية التي فرضتها ظروف الحرب والإبادة الجماعية على الفضاء الرقمي في غزة.

10. تم اختيار المشاركين بناءً على معايير قصدية (Purposive Sampling) تراعي التنوع الجغرافي والتجربة الرقمية خلال الحرب. تم استهداف أفراد ينشطون على وسائل التواصل الاجتماعي بشكل منتظم، ممن مروا بتجارب مباشرة تتعلق بانقطاع الاتصال، أو خاضوا نقاشات رقمية حول الحرب أو الصمود أو فقدان الثقة بالمحتوى الرقمي. الهدف لم يكن تمثيل السكان إحصائيا، بل التقاط أطياف متعددة من الخطاب الرقمي تحت ظروف استثنائية. كما تم مراعاة التوزيع بين الذكور والإناث، والانتماءات الاجتماعية المختلفة، لضمان تعددية الأصوات داخل العينة المحدودة.

أولاً: الأوضاع الراهنة في غزة: تأثير الحصار المستمر والحرب على الحياة اليومية، ودور وسائل التواصل في سد الفجوات الناتجة عن العزلة

تكشف بيانات المقابلات والجلسة البؤرية أن التحول في استخدام وسائل التواصل خلال حرب الإبادة لم يكن خيارًا واعيًا بقدر ما كان استجابة اضطرارية لانهيار البنية التحتية الرسمية، معظم المشاركين أشاروا إلى أن غياب الكهرباء والاتصالات جعل من المنصات الرقمية – رغم هشاشتها – الوسيلةالوحيدة للتفاعل مع العالم الخارجي. من بين عشرات منشورات التي تم تحليلها خلال الشهر الأول من الحرب، ظهرت أنماط متكررة في المحتوى تشير إلى أن الاستخدام الرقمي لم يعد يعبر عن الواقع، بل يشكل شرطًا من شروط النجاة. تكررت بشكل ملحوظ منشورات من نوع: "أنا عايش"، "ساعدونا نطلع المصابين". هذه ليست منشورات للتفاعل، بل خطابات نجاة فورية، عُشر المشاركين أكدوا أن هواتفهم أصبحت مرتبطة بجهات إسعاف أو قنوات إغاثة وقنوات إخبارية. حسابات شخصية تحولت إلى مراكز تنسيق بديلة، تُنظم جهود الإنقاذ والاتصال، في ظل انهيار مؤسسات الدولة.

في المقابل، ظهرت لغة رقمية جديدة: تتأرجح بين التوثيق والاعتراف باحتمالية الموت، حيث بعض المنشورات تضمنت عبارات مثل "هذه وصيتي" أو "انشروا هذا إن استشهدت". أي أن الفضاء الرقمي لم يعد مكانًا للتعبير فقط، بل لـ"ما بعد التعبير" – كأن "البوست" هو أثر الشخص في حال زواله.

وتشير تعليقات من الجلسة البؤرية إلى أن البعض بدأ يشعر أن منشوراته لا تُرى، أو لا تُفهم: "منحكي كتير، بس مش حاسين فينا"، قالت إحدى المشاركات. هذا الشعور بـ"الانفصال داخل الاتصال" يعكس أزمة مركبة: الحاجة لوسيلة تواصل، مقابل الإحساس بأن أحدًا لا يسمع، وقد أدى هذا التوتر إلى نوع من ما يمكن تسميته "الاغتراب الرقمي"[11] حيث تصبح وسائل التواصل مرايا تعكس الإقصاء بدل الحضور.

وأخيرًا، تبين من مراجعة المنشورات أن المحتوى لم يكن عشوائيًا، بل قائم على ما يمكن تسميته بـ"الاحتياجات المُلحة"، حيث ظهرت منشورات تسأل عن الماء، الكهرباء، الوقود، أو حتى أماكن آمنة للنزوح. بعضٍ من المنشورات كانت ذات طابع خدماتي مباشر، ما يؤكد أن المنصات الرقمية خلال الحرب أصبحت بنية تحتية بديلة لاستخدام مدني في ظل فشل منظومة الطوارئ الرسمية، إذن، لا يمكن قراءة وسائل التواصل في غزة فقط كمنصات رقمية، بل كبنية اجتماعية بديلة، نشأت من داخل الهشاشة، وتحولت إلى وسيلة لتوثيق الحياة – لا بهدف التفاعل، بل لضمان ألا يُنسى من يموت أو ينجو.

ثانياً: الإرهاق الرقمي الناتج عن سرديات الصمود وأسطرة المعاناة

تكشف مقابلات النشطاء والمشاركين في الجلسة البؤرية عن شعور متنامٍ بالإرهاق الرقمي الناتج عن استمرار التوقعات الخارجية والداخلية بأن يظهر الفلسطيني من غزة، دومًا بصورة "الصامد البطولي"؛ هذا الإرهاق لا يرتبط فقط بتكرار النشر أو توثيق الموت، بل يتعلق بما أسماه أحد المشاركين بـ"التعب من أن تكون دائمًا مثالًا للصمود". كانت البداية مع منشورات قوية، وطنية، مليئة بالشعارات، ثم أخذت النبرة تتغير تدريجيًا نحو الهمس، وأحيانًا الصمت الكامل.

11. American Studies Encounters the Middle East. Edited by Alex Lubin & Marwan M. Kraidy. Chapel Hill: University of North Carolina Press, 2016. Chapter by Helga Tawil-Souri, "Technology's Borders: The United States, Palestine, and Egypt's Digital Connections," p. 282.

أكثر من نصف المشاركين أشاروا إلى شعور متكرر بأن ما يُنتظَر منهم ليس رواية الحقيقة كما هي، بل تقديم نسخة "صالحة للتضامن"، لا تنكسر، لا تغضب، ولا تتناقض. تحليل عشرات المنشورات أظهر تحولًا واضحًا في البنية اللغوية: من خطاب جماعي بصيغة "نحن سنصمد"، إلى اعترافات فردية تبدأ بـ"أنا تعبت" أو "أنا خائف".

هذا التحول ليس سطحيًا، بل يعكس نزيفًا داخليًا مصدره الإلزام غير المعلن بأن يكون فلسطينيو غزة ممثلًا دائمًا للبطولة. حتى الفكاهة السوداء، التي شكلت سابقًا أداة مقاومة، بدأت تواجه اتهامات بـ"عدم الجدية" أو "عدم احترام الدم". إحدى المشاركات أشارت إلى أنها توقفت عن النشر لأيام بعد أن هاجمها متابعون بسبب منشور تعبيري "يائس".

الأصعب أن هذا الضغط لم يأت فقط من المتضامنين أو الجمهور الدولي، بل من السياق الفلسطيني نفسه، الذي أعاد إنتاج سردية نمطية للبطولة، جعلت كثيرًا من الشباب يخشون الخروج عنها، قال مشارك في الجلسة: "بتخاف تحكي إنك منهار، مش لأنك مش وطني، بس لأنك صرت تحس إنو الانهيار ممنوع".

على مستوى الصور، تغيرت ملامح التوثيق البصري كذلك، في الشهر الأول من الحرب، غلبت صور الإنقاذ والبطولات، ثم مع الوقت، طغت الصور الصامتة: أطفال بأعين خاوية، شوارع خالية، أمهات لا تبكي ولا تصرخ، بل تنظر. هذا التحول البصري يدعم ما يمكن وصفه بـ"تفكك الصورة البطولية لصالح ظهور الإنسان المنهك".

الإرهاق الرقمي هنا لا يتعلق فقط بالإنتاج، بل أيضًا بالثقل الوجودي الملازم لفعل التعبير في ظل شبكة تراقب، ومجتمع ينتظر منك دورًا، وعالم لا يتفاعل إلا حين "تقدم له وجبة معاناة بصرية مركبة"، يصبح التعبير ذاته فعلًا مرهقًا، يتطلب رقابة ذاتية مستمرة: هل ما سأكتبه مناسب؟ هل سيُفهم؟ هل سيفسر كضعف أو كخيانة للسردية؟

باختصار، تكشف هذه المرحلة عن انفجار داخلي في البنية الرمزية للخطاب الفلسطيني الرقمي: من سردية تصدر الفلسطيني ككائن خارق، إلى تعبيرات صادقة، فردية، مُنهَكة، لا تسعى إلى بناء "أسطورة"، بل إلى النجاة من تبعاتها.

ثالثاً: من نداءات الصمود إلى منشورات النجاة: إعادة تشكيل الخطاب والحاجات

مع تصاعد الحرب، طرأ تحول جذري في طبيعة المحتوى الرقمي الذي ينشره الفلسطينيون في غزة، فبينما شكلت عبارة "بلش الليل" في الحروب السابقة أو بدايات حرب الإبادة، رمزًا جمعيًا للخوف والتماسك، تحولت اليوم إلى هامش باهت أمام نداءات البقاء اليومية. لم تعد المنشورات تعبر عن لحظة رمزية مشتركة، بل عن طلبات إسعاف، ومناشدات للحصول على بطانيات، طحين، أو مأوى. التوثيق لم يعد مسارًا للتاريخ، بل وسيلة لإثبات الوجود، وقد لاحظ التحليل الوصفي للمنشورات الرقمية أن الخطاب أخذ منحى خدماتيًا مباشرًا، يستند إلى الحاجة المادية لا التعبير.

هذا التحول لم يكن عفويًا، بل جاء نتيجة التآكل التدريجي للبنية الاجتماعية والاقتصادية، ضمن هذا السياق، اكتسبت ظاهرة "الأنبوكسنج" بعدًا رمزيًا يتجاوز مجرد الاستهلاك: كانت بمثابة إعلان حياة، ومشاركة في سردية للتراكم والرغبة والاستعراض، لكنها تحولت، مع امتداد الإبادة، إلى صيغة أكثر قسوة: فتح صناديق إغاثة لا تحمل ما يُشتهى، بل ما يُبقي. من الهواتف الذكية إلى معلبات، ومن

سماعات البلوتوث إلى صابون. تحول التعبير عن الذات من رغبة في المشاركة إلى تسجيل للبقاء، وهنا يظهر التناقض الجارح: بقيت بنية "الأنبوكسنج" على حالها، لكن ما تغير هو المحتوى، بقي الفيديو، بقي الصوت، بقيت الحركة ذاتها، لكن القيمة تبدلت.

وبموازاة هذا التحول، برزت ظاهرة التمويل الجماعي كآلية جديدة للمساعدة، لكنها حملت في طياتها إشكالات أخلاقية وشعورية. فقد أظهر تحليل المنشورات والمقابلات أن الوصول إلى الدعم بات مشروطًا بمدى "جاذبية القصة"، أو قدرة الشخص على تقديم وجعه بشكل قابل للتعاطف الجماعي، ما خلق شعورًا عارمًا بعدم العدالة. تحدث أحد المشاركين: "في ناس وصلها آلاف، لأنو البوست تبعهم حزين ومؤثر... بس غيرهم ما عنده قدرة يحكي، ما وصله شي" هكذا أصبح البقاء نفسه مرهونًا بلغة التعبير – "الحكي"، وعدد المتابعين، وجودة الصورة.

هذا الانزياح في محتوى التعبير، من الصمود الجماعي إلى البقاء الفردي، ومن الشعار إلى الحاجة، لا يعكس فقط تحولًا في الخطاب، بل في البنية الاجتماعية التي أعادت تعريف الحياة اليومية كحالة طوارئ مفتوحة. في ظل هذا الواقع، تحولت وسائل التواصل إلى منصات مفخخة بالنجاة: من ينجح في رواية قصته، يحصل على المساعدة؛ ومن يصمت، يختفي في العتمة.

رابعاً: سوء فهم الفلسطينيين من غزة أثناء التعبير عن غضبهم ومشاركتهم السياسية

لم تكن وسائل التواصل الاجتماعي خلال الحرب على غزة مجرد منصات للتعبير، بل أصبحت ساحات حكم رمزي تُعاد فيها كتابة الحدود السياسية والأخلاقية للجماعة، من خلال المقابلات الفردية والجلسة البؤرية، يتضح أن التعبير عن الغضب أو النقد السياسي لم يكن يُقابل بنقاش أو تفهم، بل بـ"عنف رمزي علني" يتخذ شكل العار الجماعي، والتخوين، والتشهير، من يكتب منشوراً يخرج عن السردية، يُسلم اسمه إلى ماكينة الغضب الشعبي: (يُوسَم، يُمنشَن، ويُحاسَب).

تقول إحدى المشاركات: "كتبت نقد لفصيل، ما لحقت أشرح بالتعليقات، صاروا يسبوا، يتهموني اني من وحدة 8200!" شهادات مشابهة تحدثت عن هجمات جماعية تعرضوا لها على خلفية منشوراتٍ تُعبر عن الانهيار أو الخذلان. من تحليل عشرات المنشورات، تبين أن بعضاً من المنشورات التي تضمنت آراء نقدية أو تعبيرات عن الوجع السياسي واجهت ردودًا تتهم صاحبها بالخيانة أو الضعف أو "هدم المعنويات"، لكن هذا التشظي لا يمكن فصله عن التحولات العميقة في الهوية السياسية لدى الجيل الشاب في غزة، جيل ما بعد 2007، الذي نشأ في فراغ سياسي مقيد بحصار وانقسام، لم يرَ النضال كفعل ملموس، بل كرواية رقمية جاهزة، وعليه فإن صوته السياسي لا يُستمد من تجربة ميدانية، بل من مساءلة تلك التجربة، والتمرد على لغتها. الشتيمة، النكتة السوداء، الغضب غير المؤدلج، كلها أدوات لقول: "هذا الواقع لا يمثلني".

في هذا السياق، تبرز "الخيمة" كرمز جديد للتمرد، لا للسكن المؤقت. تقول إحدى المشاركات: "الناس بتكتب بوست عن الصمود، والرد بيكون: "نيالك، عندك شطافة في خيمتك؟". هذا ليس تقليلاً من قيمة الصمود، بل كشف لمدى الانفصال بين السرديات الرسمية، والمعاناة اليومية التي لا تجد ترجمة سياسية أو تنظيمية، قال أحد المشاركين: "صرت أحس إني مراقب مش بس من المخابرات، من أصحابي كمان.. كل بوست لازم تحسبه." في ظل هذا الخوف، انسحب كثير من الشباب من الفضاء الرقمي العام، أو لجأوا إلى حسابات مغلقة، أو توقفوا عن التعبير، فعل الصمت هنا لم يعد تعبيرًا عن اللامبالاة، بل عن النجاة.

هذه الديناميكيات تعني أن الفضاء الرقمي في زمن الإبادة لم يعد فقط حيزًا للقول، بل ميدانًا لإعادة بناء العقد الاجتماعي سلبي؛ لا على أساس المشاركة، بل على أساس التطهير الرمزي، والنتيجة هي تفكك أكثر حدة مما تُظهره الردود العنيفة أو الشتائم العلنية: إنه تفكك للثقة، للحق في النقد، ولمفهوم الجماعة ذاته. فماذا يبقى من "الجماعة السياسية" إذا تحولت إلى جماعة مراقِبة؟ وإذا صار الاختلاف تهديدًا، والرأي مادة للعقوبة، والنقد دليلًا على الانشقاق؟ حينها، تتحول المنصة من ساحة مقاومة، إلى مساحة لإعادة تدوير العنف، وإنتاج استعمار جديد بأدوات داخلية.

خامساً: التضامن الدولي: من اللحظوية إلى الغياب

في الأيام الأولى من حرب الإبادة على غزة، بدا أن التضامن الرقمي العالمي قد بلغ ذروته: تصدر وسم Gaza_Under_Attack # المنصات الكبرى، وانتشرت الشعارات والقصص المؤثرة، وأعيد تداول مقاطع المجازر ملايين المرات، فيما انضم مشاهير ومؤثرون إلى موجة الدعم، لكن هذا الزخم سرعان ما انخفض تدريجيًا، وبدت مظاهر التضامن أشبه بانفجارات عاطفية مؤقتة، لا برؤية سياسية أو أخلاقية مستمرة. تشير المقابلات إلى شعور متكرر بالخذلان، تقول إحدى المشاركات: "في أول أسبوع، حسيت إنه صوتنا واصل... بعد أسبوع، رجعوا ينشروا فطورهم" في الجلسة البؤرية، علق أحد المشاركين بمرارة: "التضامن صار مثل الستوري... بعد 24 ساعة بينمسح" وقد أظهر تحليل المنشورات أن العديد من الحملات الرقمية التي حشدت تفاعلًا واسعًا لم تستمر أكثر من أيام قليلة، بل تحولت في بعض الحالات إلى محتوى بصري قابل للتداول أكثر من كونه أداة ضغط فعلي. من أبرز الأمثلة على ذلك كانت حملة "All Eyes on Rafah"، التي اجتاحت الانستجرام في مايو 2024، وبدت لحظتها وكأنها لحظة انعطاف رمزي، لكنها بقيت محصورة في الفضاء البصري، بلا أي أثر سياسي ملموس. في وقت كتابة هذه الورقة، بعد أن اجتاحت القوات الإسرائيلية رفح بالكامل، وحُولت إلى منطقة عازلة تُفصل غزة عن مصر، لم نشهد أي تفاعل رقمي مشابه، لم تُرفع أعين جديدة، ولا حتى لافتة رقمية، غابت القصة لأن الصورة غابت، ومر حدث استراتيجي بهذه الخطورة بلا صدى رقمي حقيقي.

هذا الشكل من التضامن المشروط، الذي لا يتفاعل إلا حين تتوافر "الدهشة البصرية"، يعيد إنتاج الفلسطيني كـ"جسد مرئي"، لا كقضية سياسية ومع الوقت، بات كثير من المشاركين يطرحون تساؤلات صريحة: "هل نكتب لنُسمع، أم لنُستهلك؟ وهل التضامن الخارجي أداة دعم، أم أداة تهدئة ضمير؟". وسط هذا الانهيار، شكل حراك جامعة كولومبيا والجامعات الأميركية نقطة استثنائية. لأول مرة منذ بداية الحرب، ظهر شكل تضامن جامعي منظم، يتحدى السلطة، ويعيد تعريف دعم فلسطين بوصفه امتدادًا للكفاح ضد الاستعمار، والعنصرية، والإبادة.

الخاتمة

تكشف هذه الورقة كيف لم تعد وسائل التواصل الاجتماعي مجرد أدوات لنقل المعاناة الفلسطينية، بل تحولت إلى ساحة للصراع الرمزي، والتفاوض على الشرعية، وتحديد من يُرى ومن يُهمش، لقد أعادت الحرب على غزة تعريف العلاقة بين "الغزي" وشاشته: من أداة للتوثيق، إلى مساحة للنجاة، إلى مرآة للخذلان. وفي غياب البنية التحتية، والعدالة الدولية، والاستجابة السياسية، لم يبقَ للفلسطيني إلا هذه المساحة الهشة - ليصرخ، ليطلب، ليبقى.

لكن هذا الفضاء ليس محايدًا، بل تُمارس فيه الرقابة، وتُعاد فيه إنتاج السلطة، وتُحاكم فيه الأصوات

المختلفة ليس باسم الاحتلال فحسب، بل أحيانًا باسم الجماعة ذاتها؛ ولذلك، فإن إعادة التفكير في دور وسائل التواصل الاجتماعي في زمن الإبادة لا يجب أن يقتصر على تطوير أدوات التعبير، بل على مساءلة الشكل الذي نمارس فيه السياسة، ننتج فيه الرواية، ونبني فيه "نحن" جديدة، لا تُقصي، ولا تُحاكم، ولا تكتفي بالصراخ، بل تكتب لتُسمع وتبقى.

ومن هنا، فإن تبني التوصيات الواردة في هذه الورقة لا يُعد ترفياً تنظيميًا أو تقنيًا، بل ضرورة سياسية وأخلاقية لإعادة امتلاك هذا الفضاء، وصياغة الرواية الفلسطينية بشروطها، لا بشروط الخوارزميات أو ضغوط اللحظة.

التوصيات السياساتية

1. تعزيز الأرشفة المجتمعية للمحتوى الرقمي من غزة و دعم مبادرات محلية توثق التعبير الرقمي والسرديات الفردية في زمن الحرب، مع احترام الخصوصية وحقوق المشاركين.
2. توفير حماية رقمية للناشطين والمستخدمين من خلال التدريب على الأمان الرقمي، وتوفير أدوات للتعامل مع الرقابة الذاتية والهجمات الرقمية المجتمعية.
3. رفع الوعي بآثار الخطاب الرقمي الضاغط وتشجيع حوار مجتمعي نقدي حول أشكال الإقصاء داخل الفضاء الرقمي الفلسطيني، مثل التخوين والتشهير، وفتح المجال أمام تعبيرات متعددة وغير نمطية.
4. دعم إنتاج سرديات بديلة وغير مؤطرة وتمكين الشباب من استخدام وسائل التواصل لصياغة تعبيراتهم الخاصة، خارج القوالب التقليدية للبطولة أو الاستجداء.

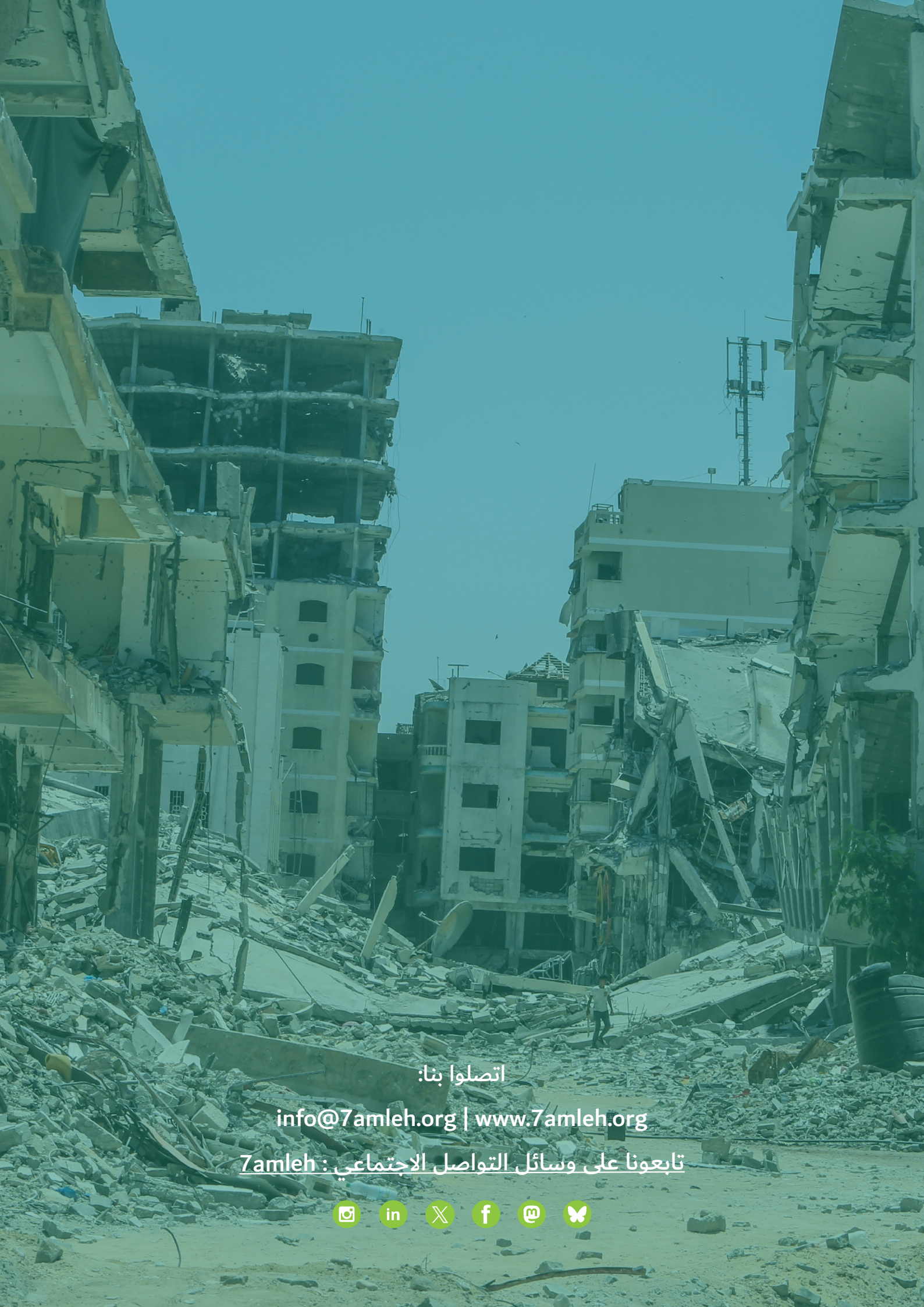

اتصلوا بنا:

info@7amleh.org | www.7amleh.org

تابعونا على وسائل التواصل الاجتماعي : 7amleh